ألف حكاية وحكاية (١٠١)

الفيل لا ينسى

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

الناشر

مكتبة مصر

سعيد جودة السحار وشركاه

٣ شارع كامل صدقى - الفجالة

ت: ٥٩٠٨٩٢٠

الفيل لا ينسى

يُقالُ دائمًا إن الفيلَ لا ينسى . ولعلَّ الحكايةَ التاليةَ تؤكِّدُ أنه لا ينسى الإحسانَ مهما طالَ الزمنُ .

فقد حدثَ ذاتَ مرةٍ أنَّ صيادًا كان يسيرُ في إحدى غاباتِ إفريقيا ، عندما فوجِئَ بقطيعٍ من الفيلةِ يقتربُ ناحيتَهُ . وكانَ معَهُ أحدُ المُرشِدينَ من الوطنيينَ ، فأسرعَ المُرشِدُ إلى شجرةٍ قريبةٍ تَسلَّقَها فرارًا من الفيلةِ ، وفعلَ الصيَّادُ مثلَهُ .

ومرَّتِ الفيلةُ ، لكنَّ أحدَها توقَّفَ تحتَ الشجرةِ ، ورفعَ إحدى أقدامِهِ ، ورأى الصيَّادُ في عينَيِ الفيلِ أنه يتألَّمُ ، وأدركَ أنه لابدَّ قد أُصيبَ في قدمِهِ إصابةً تُزعِجُهُ ، فأحسَّ بالشفقةِ عليه ، وهبطَ من فوقِ الشجرةِ ، واقتربَ من الفيلِ في حذرٍ .

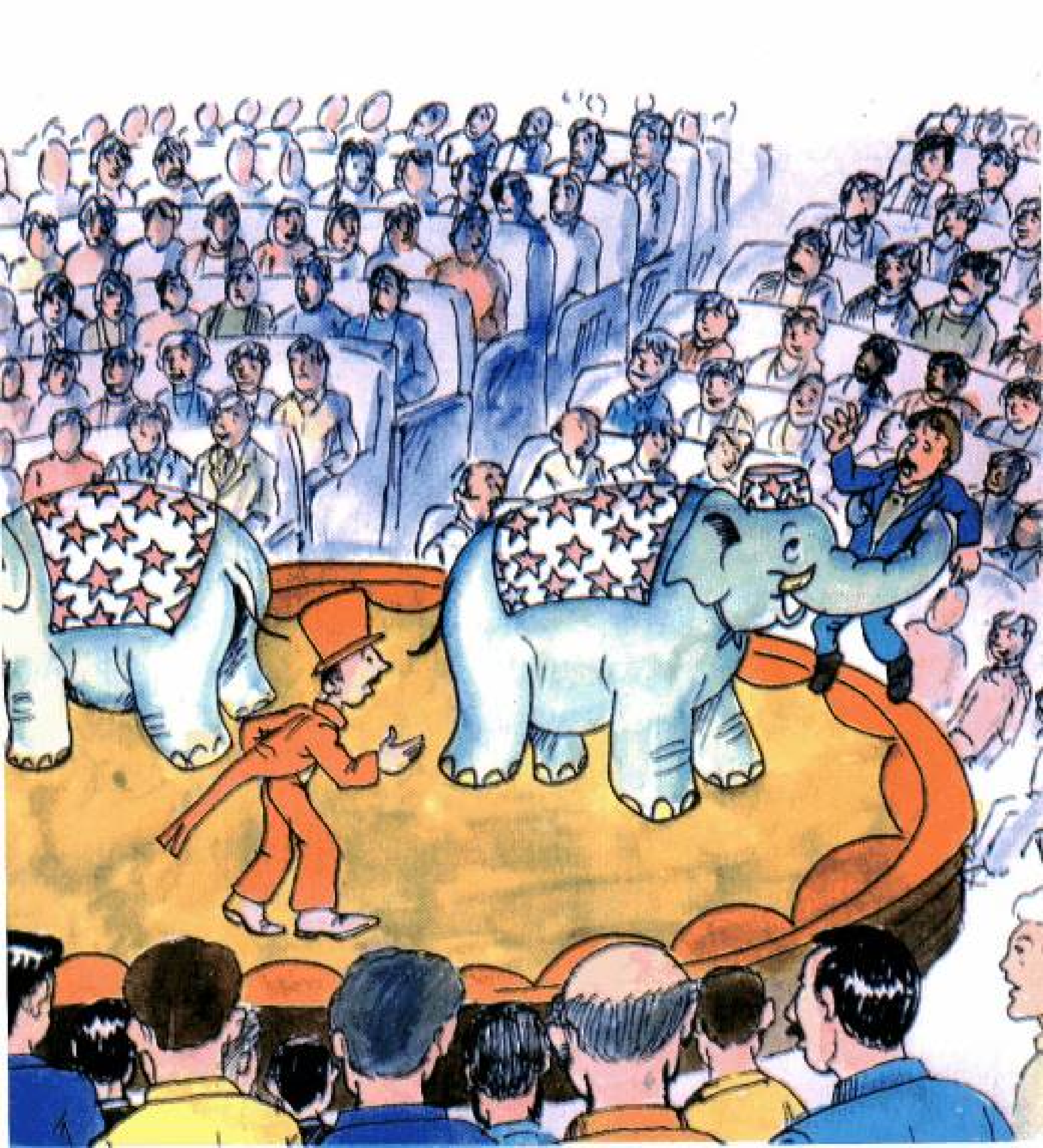
ونظرَ الفيلُ إلى الرجلِ في توسُّلٍ ، فتَشجَّعَ على التقدُّمِ . ولما فحصَ قدمَ الفيلِ ، وجدَ بها شوكةً كبيرةً ، فانتزعَها بسرعةٍ .

ونظرَ إليه الفيلُ نظرةً تفيضُ بالشكرِ ، ثم لحقَ برفاقِهِ .

ومرَّتْ أعوامٌ كثيرةٌ ، وعادَ الصيَّادُ إلى وطنِهِ .

وذاتَ يومٍ ذهبَ معَ ابنِهِ إلى السيركِ ، وكانَ من بينِ الاستعراضاتِ ، مرورُ طابورٍ كبيرٍ من الفيلةِ الضخمةِ .

وكم كانَتْ دهشةُ المُتفرِّجينَ كبيرةً ، عندما رأوا أحدَ الفيلةِ يخرجُ من الطابورِ ، وينظرُ إلى الصيَّادِ طويلاً ، ثم يحملُهُ بخرطومِهِ من مِقْعَدِهِ في الصفوفِ الخلفيةِ ، ويضعُهُ في مِقْعَدٍ مُمتازٍ بالصفِّ الأولِ .



إنه لا يستطيع !!

أقامَتْ مدرسةُ الأطفالِ الصغارِ حفلاً في نهايةِ العامِ . وكانَتْ هناك كمياتٌ من البسكويتِ تكفي لأن يحصلَ كلُّ طفلٍ على ثلاثِ قطعٍ ، لكنَّ " محسن " الصغيرَ ، أخذَ أربعَ قطعٍ .

عندئذٍ تقدَّمَتِ المُشرفةُ من محسن ، وقالَتْ له في رفقٍ ، بعد أن كانَ قد أكلَ واحدةً مما في يدِهِ : " لقد خصَّصْنا لكلِّ واحدٍ منكم ثلاثَ قطعٍ من البسكويتِ ، فعليك إرجاعُ القطعةِ الرابعةِ إلى مكانِها . "

وفي براءةٍ أجابَ محسن . " لكنني لا أستطيعُ ! "

سألَتْهُ المُشرفةُ في دهشةٍ : " لماذا ؟ "

أجابَ محسن : " لأنني بدأتُ فأكلْتُ تلك البسكويتةَ الرابعةَ ! "

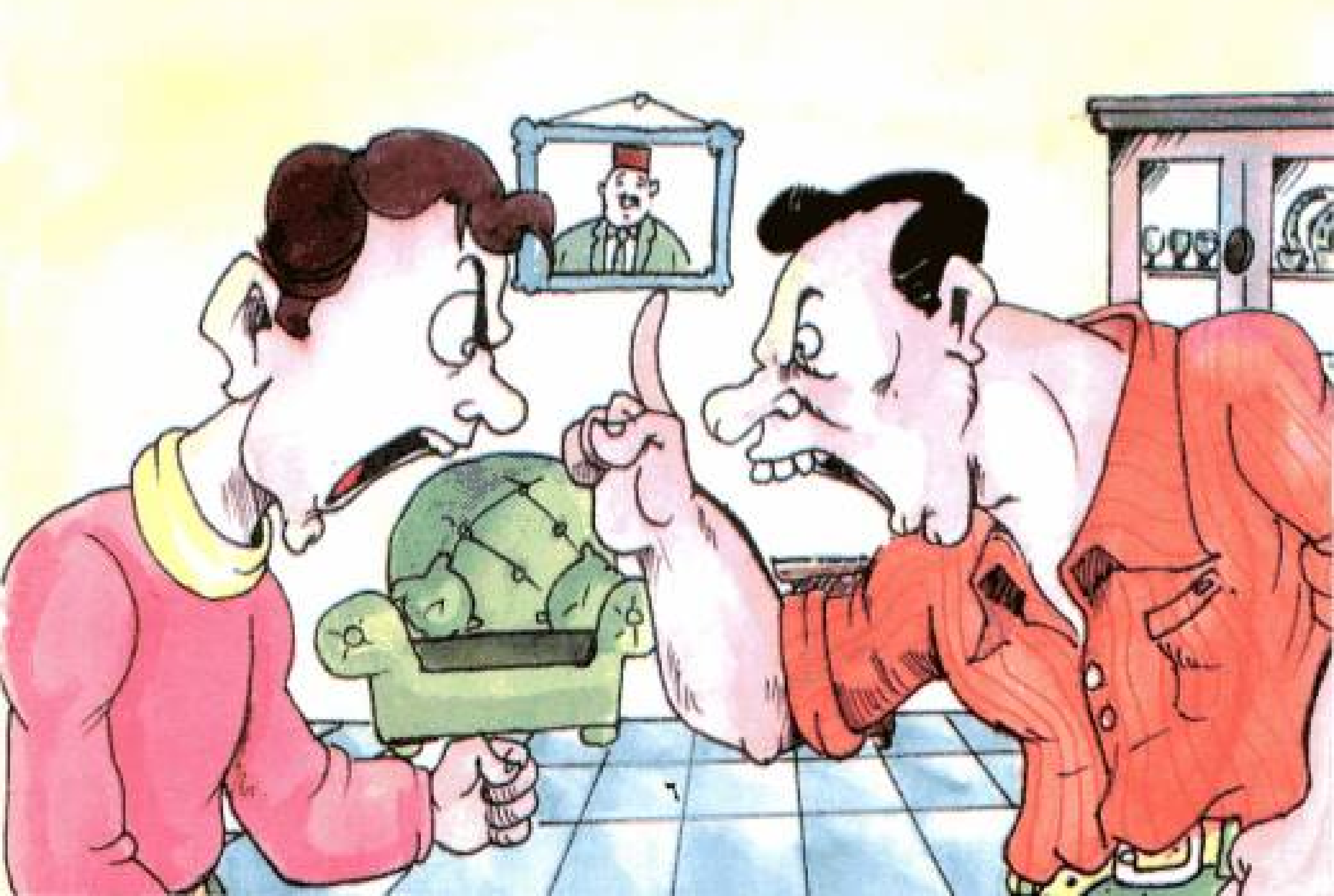
ولم تيأسِ المُشرفةُ ، بل قالَتْ في رقةٍ : " ما دمْتَ قد أكلْتَ ما ليسَ لكَ ، فعليكَ أن تُعيدَ بدلاً منها ، واحدةً من الثلاثِ المُخصَّصةِ لكَ !! "



ماء في فمه

عاشَ أخوانِ في قريةٍ صغيرةٍ ، لكنَّ شهرةَ الأخَوَيْنِ في القريةِ كانَتْ شهرةً سَيِّئةً . لقد عرفَ الجيرانُ عنهما أنهما لا يتوقَّفانِ عن المشاجرةِ . كانَتْ مُنازعاتُهما تمتدُّ ساعاتٍ طويلةً ، تُقلِقُ الجيرانَ لارتفاعِ أصواتِهما ، وكلٌّ منهما يصبُّ على الآخرِ سيلاً من الكلماتِ القاسيةِ المؤلمةِ .

وذاتَ يومٍ ، ذهبَ الأخُ الأصغرُ إلى رجلٍ حكيمٍ يعيشُ في القريةِ ، يشكو إليه أخاهُ الأكبرَ ، وطلبَ أن يدلَّهُ على طريقةٍ تؤدِّي إلى توقُّفِ ذلك الشجارِ الدائمِ بينَهُ وبينَ أخيهِ .



وفكَّرَ الرجلُ الحكيمُ طويلاً ، ثم اختفى في حجرةٍ داخلَ منزلِه ، وعادَ وفي يدِهِ زجاجةٌ مملوءةٌ بالماءِ وأعطاها للأخِ الأصغرِ ، وقالَ له:

" هذه الزجاجةُ بها ماءٌ سحرِيٌّ .. إذا بدأ أخوكَ الشجارَ ،املأْ فمَكَ بالماءِ ، واحتفظْ به في فمِكَ أكبرَ فترةٍ مُمكِنةٍ ، وسترى النتيجةَ "

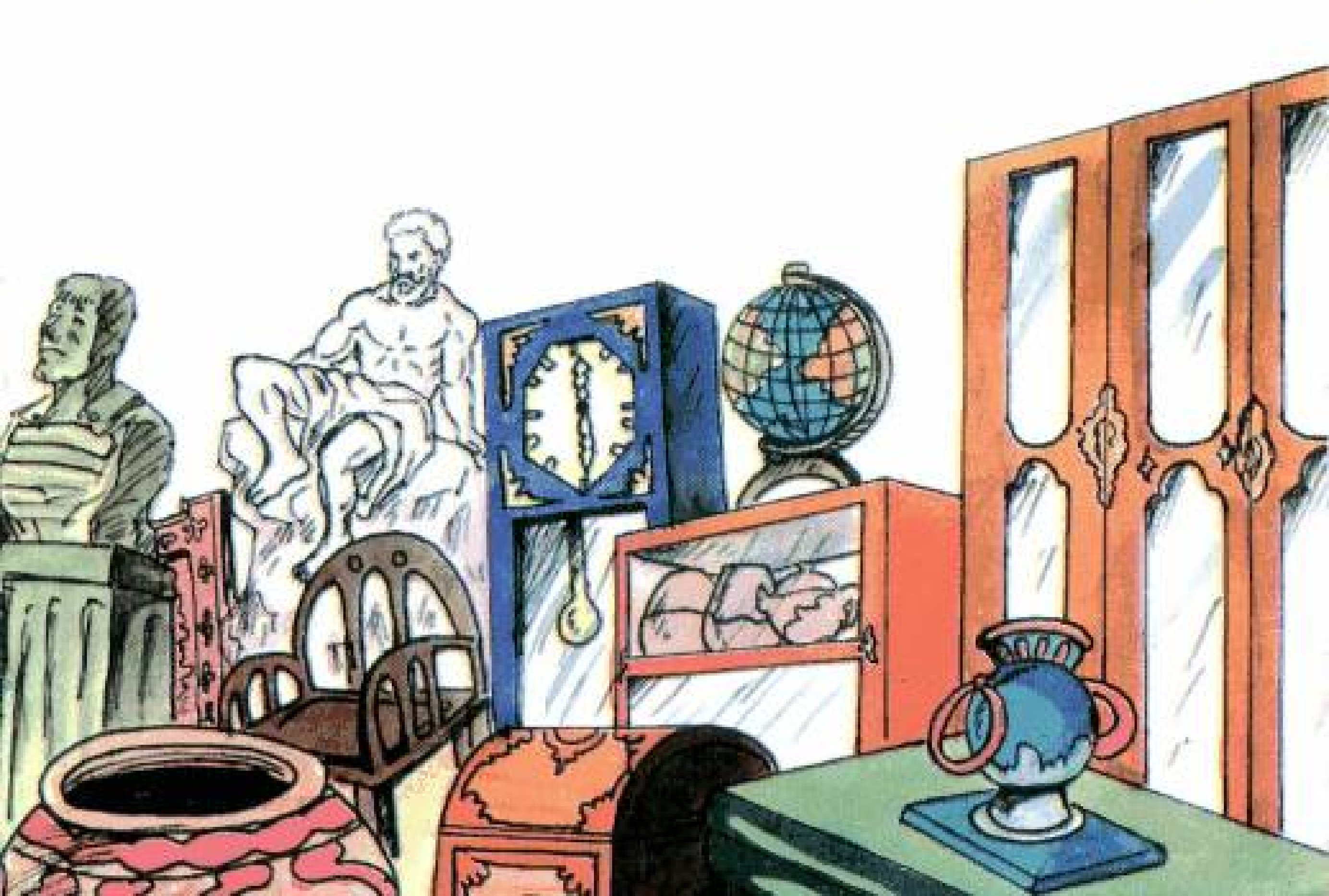
وبعدَ أسبوعٍ ، عادَ الابنُ الأصغرُ مُتهلّلاً إلى الرجلِ الحكيمِ ، وقالَ له : " لقد نفعَ سحرُكَ ، واختفَى الشجارُ من بينِنا. "

ضحكَ الرجلُ الحكيمُ ، وقالَ : " ليس في الأمرِ أيُّ سحرٍ .. لقد منعَكَ الماءُ من الكلامِ ، وهكذا اختفَى السببُ الرئيسِيُّ للشجارِ . إن السلامَ يحتاجُ أن يتحمَّلَ أحدُ الطرفَيْنِ الآخرَ ، ويصبرَ عليه قليلاً. "



الزبون دائمًا على حق

كانَتِ السيدةُ المُتكبِّرةُ المُتعجرِفةُ في زيارةٍ لمحلٍّ التُّحَفِ القديمةِ ، الذى يملكُهُ السيدُ زيدان . وكانَ واضحًا أنها لا تهدفُ إلا إلى تمضيةِ بعضِ الوقتِ ، لكنَّها جعلَتِ السيدَ زيدان يُخرِجُ لها القطعَ الفنيةَ النادرةَ واحدةً بعدَ الأخرى ، ثم تأخذُ فى الاعتراضِ بشدَّةٍ على ارتفاعِ ثمنِها ، أو تؤكِّدُ انخفاضَ مستواها الفنيَّ ، مُستخدِمةً عباراتٍ خشنةً .



وبعدُ مُضىِّ حوالى الساعةِ ، نظرَتْ إلى ساعتِها ، ثم قالَتْ :
" يجبُ أن أنصرفَ يا سيد زيدان .. ومن المؤكَّدِ أنكَ لن تظنَّ أننى امرأةٌ مُزعِجةٌ ، أو أننى أتظاهرُ بالحديثِ فيما لا أعرفُ. "
هنا انحنَى لها السيدُ زيدان فى احترامٍ شديدٍ ، وقالَ : " ما دمْتِ أنتِ التى تقولينَ هذا يا سيِّدتى العزيزةَ ، فإن الزبونَ فى متجرى لابدَّ أن يكونَ دائمًا على حقٍّ !! "



لا يبخلون عليك بما عندهم

أرسلَ أحدُ الخلفاءِ يطلبُ عالمًا ليقضيَ بعضَ الوقتِ في الحديثِ معه . فلما ذهبَ تابعُ الخليفةِ إلى العالِمِ ، وجدَهُ جالسًا وحولَهُ كتبُهُ ، فقالَ له : " أيها العالِمُ الجليلُ ، إن الخليفةَ يطلبُكَ. "

فأجابَ العالِمُ : " قلْ لمولانا الخليفةِ : عندي جماعةٌ من الحكماءِ أحادثُهم ، فإذا ما انتهيْتُ من حديثِهم ، حضرتُ إليه. "

فلمَّا رجعَ التابعُ إلى الخليفةِ ، وأخبرَهُ بما قالَهُ العالِمُ ، سألَهُ الخليفةُ : " مَنْ هؤلاء الحكماءُ الذين يحادثُهم ؟ "

قالَ التابعُ : " أنا لم أرَ أحدًا عندَهُ. "

فقالَ الخليفةُ للتابعِ : " أحضِرْهُ فورًا ، فلن أقبلَ منه عذرًا. "

فلما وقفَ العالِمُ أمامَ الخليفةِ ، سألَهُ : " مَنْ هؤلاء الحكماءُ الذين كنْتَ تُجالِسُهم ؟ "

قالَ العالِمُ : " إنهم الأصدقاءُ الذين لا تملُّ حديثَهم ، ولا يبخلونَ عليك بما عندَهم ، ولا يُذيعونَ لأحدٍ سرًّا ، ويُفيدونَنا من علمِهم وعلمِ مَنْ قبلَهم . "

فعلمَ الخليفةُ أن العالِمَ يُشيرُ بذلك إلى الكتبِ ، فزالَ غضبُهُ .



ظل الذئب

عندما تنحدرُ الشمسُ نحوَ المغيبِ ، يبدو ظلُّ كلِّ الأشياءِ ضخمًا وطويلاً . وذاتَ يومٍ ، كانَ هناكَ ذئبٌ يسيرُ على أرضٍ



مستويةٍ ، فشاهدَ ظلَّهُ الطويلَ ، فقالَ لنفسِهِ :

" لم أكنْ أتصوَّرُ أنني ضخمٌ على هذا النحوِ . إنني أضخمُ كثيرًا من الأسدِ ، فلماذا أخافُ منه ؟ "

وملأتْ هذه الخواطرُ عقلَ الذئبِ ، فبدأ يسيرُ وقد ملأهُ الغرورُ ، ونَسِيَ كلَّ خطرٍ حولَهُ ، وكأنَّ ضخامةَ جسمِهِ قد أصبحَتْ حقيقةً مُؤكَّدةً !!

وفجأةً هجمَ عليه أسدٌ ، وبدأ في افتراسِهِ ، فصاحَ الذئبُ :

" يا لي من أحمقَ ، أعماني الغرورُ عن رؤيةِ الأخطارِ من حولي ، فدفعْتُ حياتي ثمنًا لأوهامي ! "



من تظن نفسك ؟

لاحظَتْ مُمثِّلةٌ كبيرةٌ ، أن أحدَ المُمثِّلينَ من الشبابِ الصغيرِ ، يتمتَّعُ بموهبةٍ غيرِ عاديةٍ فى التمثيلِ ، فاختارَتْهُ ليمثِّلَ أمامها بطولةَ إحدى المسرحياتِ . وأدهشَ الممثلُ الموهوبُ الجميعَ أثناءَ التدريبات (البروفات) .

لكنْ حدثَ فى الليلةِ الأولى لعرضِ المسرحيةِ ، أن ارتكبَ ذلك الممثلُ خطأً كبيرًا أثناءَ التمثيلِ ، فجلسَ فى غرفتِهِ حزينًا ، يُحِسُّ بتأنيبِ الضميرِ .

وذهبَتْ إليه الممثلةُ الكبيرةُ ، فقالَ لها بمرارةٍ : " لقد أضعْتُ مستقبلى ، وسبَّبْتُ لكِ ضررًا كبيرًا ... ينبغى أن أتركَ هذاالمكانَ ، ولا أعودَ إليه ثانيةً .. "

عندئذٍ قالتْ له الممثلةُالكبيرةُ ببرودٍ : " مَنْ تظنُ نفسَكَ حتى تعتقدَ أنك ينبغى ألاَّ تُخطِئَ ؟! إن اللهَ وحده سبحانَهُ وتعالى هو الذى لا يُخطِئُ يا صديقى الصغيرَ ... يجبُ أن تعودَ إلى خشبةِ المسرحِ ، وسوف تُجيدُ هذه المرةَ ... "

وعادَ الفتى يواصلُ عملَهُ فى المسرحيةِ ، وتَحقَّقَ له ما توقَّعَتْهُ الممثلةُ الكبيرةُ من نجاحٍ عظيمٍ .



الأطول عمرًا !!

مـن بـين مَـنْ تولَـوْا رياسـةَ الولايـاتِ المتحـدةِ فـى إحـدى الفتراتِ ، الرئيسُ " وليم جاكسون " . وقد عاشَ عمرًا طويلاً .

وذاتَ يوم ، طلبَ رسَّامٌ شابٌ أن يرسمَ صـورةً للرئيسِ السابقِ ، فسمحَ له بذلك .

وبعد أن انتهى الرسَّامُ من رسمِ اللوحـةِ ، قالَ للرئيسِ : " شكرًا لكَ يا سيدى .. وأرجو أن أرسـمَ لكَ لوحـةً أخرى فى عيدِ مِيلادِكَ المائةِ. "

عندئذٍ نظرَ جاكسون إلى المُصوِّرِ نظرةً فحصَ بها طولَـهُ وعرضَهُ وملامحَ وجهِهِ ، وأجابَ : " ولم لا ؟! .. إنك تبدو فى صحةٍ جيدةٍ !! "

بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها ،
مـن الأدب الشعبـى ، والعربـى القديـم ، والعالمى .

